الفصل السادس

شهادة رئيس مجلس الشعب

د. صوفى أبو طالب

فى عهد الرئيس السادات

obeikandl.com

obeikandl.com

● **كيف بدأت علاقتك بالرئيس السادات؟**

●● منذ دخولى مجلس الشعب عام ١٩٧٥ بدأت علاقتى به، ثم بدأت العلاقة تقوى شيئاً فشيئاً حيث كان يستدعينى لمناقشة فكرة قيام حزب جديد قائم على النظام الاشتراكى الديمقراطى فقد كان يريد أن يجعل كل شىء فى مصر يتم بالانتخاب، ومن هنا بدأت فكرة التعددية الحزبية وكان من رأيه أن يكون هو رئيساً لهذا الحزب، وقد اعترضت على ذلك، وتناقشنا كثيراً حول هذه النقطة، واتضح لى من المناقشة كراهية السادات للاتحاد الاشتراكى والنظام الشمولى.

● **لماذا اعترضت على رئاسة السادات للحزب؟**

●● أولاً كنت أعلم أن السادات يريد ديمقراطية حقيقية، وإقامة أحزاب قوية، ولذلك قلت له: أنت رئيس لكل المصريين، وخسارة حزبك فى الانتخابات معناه خسارة رئيس الجمهورية، وهذا شىء لن تقبله، كما أن رؤساء الأحزاب سوف يتعاملون معك على أساس أنك رئيس حزب وهذا لن تتقبله أيضاً واقترحت عليه بعض الأسماء ولكنه رفضها وأصر أن يكون هو رئيساً للحزب الجديد.

● **هل رفضهم تعسفاً؟**

●● لم يكن السادات يتخذ قرارات بدون دراسة أبداً، ولكن هذه الأسماء التى اقترحتها قام بوضعها فى الميزان، وأخذ يعدد إيجابياتها وسلبياتها فى مناقشة حرة مع مستشاريه، فوجدها لا تصلح ولذلك تولى هو رئاسة الحزب الجديد.

● **كيف تم ترشيحك لرئاسة مجلس الشعب؟**

●● بداية من عام ١٩٧٥ أصبحت مستشاراً للرئيس السادات، وبرغم

الجلسات المتكرره لمجلس الشعب لم أعرف أنه يريد أن أتولى رئاسة المجلس، وكان دائماً عندما يريد أن يتخذ قراراً مهمّاً، يجتمع مع مستشاريه وبعض الوزراء المهمين جدّاً، وكانوا حوالى ثمانى شخصيات ويجلس ويستمع لآراتهم، وبعد عدة جلسات قال السادات: أنا أريد أن أعين رئيساً لمجلس الشعب، من ضمن صفاته أن يكون رجل قانون وشريعة وأخذ يعدد بعض الصفات فقام أحدهم وكان يجلس بجانبى وقال: وأن يكون اسمه صوفى أبو طالب فضحك السادات وقال: نعم وقد كان.

هل السادات ديكتاتور

● **هل السادات كان ديكتاتوراً فى اتخاذ قراراته؟**

●● شهادة للتاريخ لم يكن السادات ديكتاتوراً؛ لأنه كان يهتم بالقضايا المهمة جدّاً، ويترك الأشياء الأخرى للوزراء ليقوموا بدورهم وكان مستشاروه مقسمين إلى ثلاث فئات، فئة تقول كلاماً يركب على أى قالب، وفئة تقول كلام ليس له أى معنى. وفئة تقول رأيها بصراحة ووضوح، وأنا من هذه الفئة الأخيرة ليس لأنى (فتك) أو بطل ولكن لأن السادات كان بيتقبل الرأى الآخر، بدون غضب وكان يعطى من يستشيرهم الأمان والطمأنينة، وقد كانت له مقولة مشهورة مع مستشاريه وأنا منهم، أننا هنا اتفقنا على القرار، ومن لا يستطيع أن يدافع عن هذا القر ر أمام المجلس البرلمانى، فليقل من الآن، ويختار المنصب الذى يريده وأنا أضعه فى هذا المنصب، ولكن لن أقبل اعتراض أحد منكم أمام المجلس لأننا تناقشنا هنا ووافقتم.

● **ما هى المدة التى كان يجلس فيها السادات مع مستشاريه؟**

●● كان لا يجلس أكثر من ساعتين؛ لأنه كان يقول إن العقل يتوقف بعد ساعتين من التفكير، ومن العبث أن نستمر فى المناقشة بعد ذلك،

وكان يستمع أكثر و«البايب» دائماً فى فمه فلا نستطيع أن نتعرف عما بداخله، إذا كان كلامنا عجبه أم أن كلامنا لا يعجبه.

● **لماذا اتجه السادات لأمريكا فى عملية السلام؟**

●● لأنه منذ منتصف السبعينيات يدرك أن الاتحاد السوفييتى إلى زوال، فالحكم الشمولى لا يدوم، وأن أمريكا سوف تنفرد بحكم العالم، وستسيطر على معظم القرارات الدولية، ولذلك آمن تماماً بأن ٩٩ فى المائة من أوراق حل قضية السلام فى يد أمريكا، ولكن العرب للأسف الشديد لم يفهموا أفكاره فى وقتها.

● **ما هو الحديث الذى دار بين السادات ومناحم بيجن رئيس وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت أثناء وجودهما فى أمريكا لمباحثات السلام؟**

●● مناحم بيجن وجه سؤالاً للسادات وقال له: أنت لا تمثل إلا مصر فقط، ولكن السادات قاله له: أنا أمثل مصر والفلسطينيين أنفسهم، أما الزعماء العرب فأنا كفيل بهم والمواطن العربى بجانبى.

● **لماذا عارض الزعماء العرب اتفاقية السلام؟**

●● السادات قال لهؤلاء الزعماء: كلنا فى مركب واحد، والمركب يجب أن يكون له قائد واحد، لأن المركب يغرق إذا كان له أكثر من «ريس» فاتركوا لى الفرصة إذا نجحنا فسوف ننجح جميعاً، وإذا فشلت فسوف أترك الحكم، وتكملوا أنتم المشوار، ولكن إصرار هؤلاء الزعماء على رمى إسرائيل فى البحر، كان هو الشعور المسيطر عليهم، لقد قامت فكرة السادات على أخذ الأرض على مدار عشر سنوات بالطرق السلمية بينما فكرة هؤلاء الزعماء تحتاج إلى مائة عام عندما يأتى لهم صلاح الدين مرة أخرى.

■■■

تابع ـ شهادة الدكتور صوفى أبو طالب

السادات ضحى من أجل الكل!!

● **ماذا حدث فى يوم اغتيال الرئيس السادات؟**

●● فى المنصة وحسب البروتوكول كان يجلس على يمين السادات النائب حسنى مبارك وسفير عمان والدكتور عبدالقادر حاتم وزير الإعلام وأنا، وعلى الجانب الآخر رجال الجيش، والمشير محمد عبدالحليم أبو غزالة، وبعض القيادات العسكرية، وكان العرض به طائرات تنخفض وترتفع وجنود ينزلون بالمظلات، وفجأة اقتربت عربة على بعد مائة متر من المنصة، فرأى السادات شعاع القنبلة، التى كانت فى يد أحد الشخصين اللذيْن كانا على العربة، فقام وقف قائلاً: مش معقول، وبوقوف السادات أصبح هدفاً واضحاً أمام القناص، الذى قام بضربه بالرصاص فى رقبته، وفى هذا الحين قام عبدالقادر حاتم بشدى لأسفل ولولا وقوف السادات وشجاعته لكانت هذه الحادثة أكثر دموية مما حدث، وربما لمات فيها الكثيرون، فالسادات ضحى بنفسه من أجل الكل بوقوفه التلقائى الذى يدل على طبيعة السادات الذى يتسم بالشجاعة والمواجهة.

● **هل شعرت أن البلد فى حالة ضياع ومعرضة لحرب أهلية؟**

●● لولا تأجيل قرار إعلان وفاة الرئيس السادات، لتعرضت البلد لمشاكل كبيرة، وكان يمكن أن تأخذ إحدى الجماعات الإرهابية دبابة أو اثنتين وتفكر فى قلب نظام الحكم، وتحدث هوجة لا يعلم إلا الله مداها وكان يمكن أن يتدخل الشعب وتحدث فوضى لا يعلم إلا الله مداها.

● **هل كنت تتخذ قرارات رئيس الجمهورية فى الفترة الانتقالية التى توليتها؟**

●● كنت أتخذ القرارات التى لا تحتمل التأجيل، أما القرارات التى تحتمل التأجيل، فكنت أتركها لمن سوف يتخذ هو القرار؛ لأن هدفى هو حماية البلد، ولم تشغل بالى أبداً فكرة الرئاسة والترشيح لمنصب الرئيس.

● **وماذا اتخذت من قرارات فى نفس يوم الاغتيال؟**

●● بعد قرار تأجيل إعلان وفاة الرئيس للساعة الخامسة بعد الظهر، كان لابد أن يلقى النائب حسنى مبارك بياناً ليطمئن الشعب المصرى والعالم على استقرار الأوضاع داخل مصر.

رئاسة الدولة حمل ثقيل

● **ألم تفكر فى الرئاسة؟**

●● الدستور يقول: لا يتولى رئيس مجلس الشعب رئاسة الجمهورية إلا لفترة انتقالية وبعد ذلك يتم الترشيح للرئاسة، وأنا لم أفكر فى الرئاسة لأنها حمل ثقيل جداً ومن يتقبل الرئاسة فهو بطل لأنها عمل شاق.

● **هل وجود نائب للرئيس شىء ضرورى؟**

●● وجود نائب للرئيس ليس ضرورياً، طالما أن الرئيس قادر على القيام بمهامه كاملة، إلا إذا وجد شخص يريد أن يعده للرئاسة، مثلما حدث مع الرئيس مبارك عندما اختاره السادات، والدستور لا ينص على وجود نائب للرئيس.

انتقال السلطة بدون دمار

● **ماذا عن انتقال السلطة فى سهولة؟**

●● هذا خطط له الرئيس السادات، أن تنتقل السلطة بدون إراقة

دماء مثلما يحدث فى الدول الديمقراطية العريقة كأمريكا والسويد وألمانيا وإنجلترا وليس كما يحدث فى الدولة الشمولية، التى تنتقل فيها السلطة بالتصفية الجسدية وإراقة الدماء، ويوم عمل استفتاء على الرئيس مبارك أجمع عليه الشعب المصرى بما فيه أحزاب المعارضة.

● **ماذا ستكتب عن الرئيس السادات فى مذكراتك؟**

●● سأكتب عنه وأقول: إنه إنسان يصعب أن تجد صفات حميدة وذكاء تجتمع فى شخص مثلما اجتمعت فيه، مثلاً كان السادات ليس حاقداً وكان يحب أن يأكل جيداً ويشرب جيداً ويلبس جيداً ويعيش فى منزل جيد ويحب أن تعيش الناس مثله تماماً، رغم الصعوبات التى واجهته فى حياته، ولذلك كان يقول دائماً فى خطاباته: اكسبوا بالحلال، وأعطونى العتبة ويقصد الضريبة التى هى حق الدولة.

وسأقول عنه: إنه كان إنساناً بعيد النظر، ويسبق عصره بعشرين عاماً، وهذا سر شقائه: لأن الذين كانوا من حوله لا يستطيعون أن يفكروا مثله.

وأقول: عنه إنه كان إنساناً مجاملاً، ويذهب لتحية الناس فى أفراحهم.

وهذا لم يكن يحدث أيام عبدالناصر؛ لأنه كانت هناك صراعات، إنه إنسان شجاع وجسور، وذو صفات عديدة يصعب أن تجدها فى إنسان آخر.

وسوف أكتب وأقول: إنه كان متمسكاً بعروبته وإسلامه؛ لأنه كان يرى أن مصر بالعرب قوية جداً، والعرب من غير مصر ضعفاء.

وكان يرى أن الإسلام هو الذى سوف يحمى هويتنا من القوة الأمريكية القادمة، التى نسميها الآن العولمة لأن القوة كما يرى السادات ستفرض أفكارها ونفوذها واتجاهاتها. ولن يعصمنا من هذه الهيمنة، إلا

تمسكنا بالإسلام، وسوف أتذكر دائماً مناقشته وأنا حزين على مفارقة هذا الرجل العظيم. الرئيس السادات.

● **لماذا لم تكمل نشاطك السياسى بعد رحيل الرئيس السادات؟**

●● لأن لكل عصر رجاله، بالإضافة إلى شعورى بأننى أديت واجبى على الوجه الأكمل فى وقت الرئيس السادات.

● **لماذا فضلت العودة إلى الجامعة وترك السياسة؟**

●● عودتى للجامعة كانت بمحض إرادتى، فهى مكانى وبيتى، وأنا أعتبر نفسى «خوجه» ولم أجد أفضل من العلم لتوريثه للأجيال القادمة، فكل شىء يذهب ولكن العلم يدوم.

● **كم ساعة تقضيها مع التدريس؟**

●● حوالى ثمانى ساعات بين القراءة والمحاضرات والجلوس مع أبنائى من الطلاب، الذين يحتاجون أحياناً بعض الإيضاحات، ومنهم من يقوم بعمل أبحاث أو يعد لنيل الدكتوراه، وأنا مرتبط بأبنائى الطلبة، ولذلك لا أصد أحد منهم حين يطلب المساعدة والمشورة؛ لأننى فى المقام الأول خوجه ورجل تربوى.

إنجازات السادات

● **ما هى أهم إنجازات الرئيس السادات؟**

●● هناك إنجازات عديدة للرئيس السادات، ولكن أهمها حرب أكتوبر ١٩٧٣ التى أعادت الكرامة للأمة العربية.

واتفاقية السلام «كامب ديفيد ١٩٧٩» والتى بموجبها تم إعادة الأرض المصرية كاملة.

استطاع السادات أن يقيم حياة نيابية سليمة.

وأهم الإنجازات أنه جعل الشريعة الإسلامية مصدراً أساسياً للدستور المصرى، وهذا النص بالذات حمى مصر من الأفكار الشيوعية التى كانت مقترحة فى عدة مؤتمرات فى زواج رجل برجل، امرأة بامرأة وهناك إنجازات لا تعد ولا تحصى لهذا الرجل العظيم.

بكيت على السادات

● **هل بكيت على السادات يوم موته؟**

●● فى نفس يوم الاغتيال لم تذرف دمعة واحدة من عينى، وكأنه نزل علىَّ سهم الله وتماسكت لمدة ثلاثة أيام، وبعد هذه الأيام الثلاثة، وتعرضت لضغط عصبى شديد، وعشت فترة طويلة فى غاية الحزن والأسى، وحتى الآن أنا حزين على فراق ذلك الرجل المخلص لبلده وللأمة ولدينه ولعروبته.

● **ماذا كان يكره السادات على المستوى السياسى والدولى؟**

●● كان يكره الشيوعية؛ لأن فيها فساداً للمجتمع، وكان محبّاً لدينه ومعتزّاً بإسلامه، ويكره «الاتحاد السوفييتى» على وجه الخصوص لأنه رأى أنهم بعد حرب ١٩٦٧ اتفقوا مع الأمريكان على أن يبقى الوضع على ما هو عليه، وكان يعتبره من أعدائنا، ولأن السوفييت أثناء الحرب لم يمدونا بالذخيرة الكافية، وكان يكره الحكم الشمولى على المستوى العالمى، وعلى مستوى مصر، المتمثل فى الستينيات «فترة حكم الرئيس عبدالناصر» ولذلك فكر فى التخلص من الاتحاد الاشتراكى، وإحلال نظام ديمقراطى اشتراكى.

● **ماذا تكره من الصفات الشخصية للبشر؟**

●● أكره الدكتاتورية لأنى أعشق الحرية، ولأن الديكتاتورية كانت السبب فى سقوط الاتحاد السوفييتى والحرية هى السبب فى تقدم أمريكا ودول أوروبا الغربية والدول الأسكندنافية.

● **ماذا تحب؟**

●● أحب الإسلام، وأحب أن نستمد منه قوانينا؛ لأنه دين يعالج الحياة، وهو دين الوسطية وهذا ما حرص عليه الرئيس السادات فإنه جعل الشريعة الإسلامية مصدراً أساسيّاً للدستور فى مصر.

● **هل كان السادات بعيد النظر؟**

●● السادات كان يسبق عصره بأكثر من عشرين عاماً؛ لأنه كان يقرأ كثيراً فى التاريخ والسياسة وكانت له قدرات خارقة فى تحليل الأحداث السياسية.

● **لماذا هاجمه الكتاب والمثقفون فى مصر وخارجها؟**

●● عبدالناصر كان قد طرد الكتاب الإسلاميين والسادات طرد الكتاب اليساريين والشيوعيين.

هؤلاء جميعاً ولاؤهم لأنفسهم أولاً، ومصالح البلد ثانياً، لأنهم يعتقدون أنهم يعرفون أكثر من شعوبهم الذين يقرأون لهم، وللأسف استغلهم البعض فى العالم العربى أبواقاً ضد مصر والسادات، وأثبتت الأيام أنهم مخطئون، وأن السادات على صواب، والآن نبحث عن أقل مما كنا سنأخذه منذ أكثر من ثلاثين عاماً، فى القضية الفلسطينية «كامب ديفيد ١٩٧٩».

السادات لا يأخذ بالنيات

● **كيف كان السادات يتعامل مع الوزراء وسياسة الثواب والعقاب شهادة للتاريخ؟**

●● كانت النتائج تهم السادات فى الأمور السياسية فى المقام الأول، فإذا جاءت جيدة يكون العمل جيداً، أما إذا كانت النتائج عير مرضية فلا يقبل أى مبررات أبداً، ولكن فى الأمور الأخرى كان يأخذ بحسن النيات حتى لو كانت النتائج غير مرضية.

أول قرار هام

● **كيف تصرفت عندما توليت رئاسة الجمهورية كفترة انتقالية؟**

●● بعد الحادث رفض الحارس الخاص بى أن أذهب إلى المنزل خوفاً على حياتى، ولكن أصريت على الذهاب للمنزل لآخذ دواء خاص بى، وبينما أنا فى المنزل فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، جاءتنى مكالمة تليفونية بأن السادات توفى، وكان قد نقل إلى المستشفى، فذهبت لمجلس الرئاسة وكان بين الحضور النائب حسنى مبارك والمشير محمد عبدالحليم أبو غزالة وكبار رجال الدولة، وجاءت المشورة بأن أتولى رئاسة الجمهورية حسب الدستور. كفترة انتقالية لحين عمل انتخابات!!

منصب رئيس الجمهورية أرفضه!!

● **أول قرار اتخذته كرئيس للجمهورية؟**

●● أول قرار اتخذته أن لا تعلن أجهزة الإعلام خبر وفاة الرئيس السادات رسمياً إلا فى الساعة الخامسة؛ لأن كانت هناك أحداث دموية، خاصة بعد استيلاء جماعة الجهاد على محافظة أسيوط، فكان من

الواجب تأجيل إعلان وفاة السادات، حتى نتشاور على تأمين شئون البلاد لمواجهة المواقف المختلفة.

ضحايا هيكل

● **ماذا ترى حجم الخلاف بين الرئيس السادات وهيكل؟**

●● يجب أن نضع كل إنسان فى مكانه الصحيح، ونعرف قيمة كل واحد وماذا قدم لمصر؟ الرئيس السادات تاريخه معروف وناصع قدم لمصر الكثير، أهمها انتصار أكتوبر، وإعادة كرامة الأمة العربية بالكامل، تحويل مصر من دولة يحكمها الأمن إلى دولة مدنية يحكمها القانون حول مصر إلى دولة مؤسسات، أعاد أرض مصر كاملة، أعاد لمصر مكانتها على المستوى الإقليمى والعالمى.

السادات يعمل من أجل شعب مصر ومن أجل مصر الغالية التى كان يعشقها، إنما محمد حسنين هيكل كان بيعمل من أجل مصلحته الشخصية، ولا تهمه مصالح مصر ولا غير مصر، وهو أستاذ فى نبش القبور ومهاجمة الناس بعد وفاتهم، وللأسف عندما يكتب عن الزعماء فهو يكتب لأغراض شخصية ويتحكم فى كتاباته أهواؤه الشخصية، ولا يكون مثل الكتاب الذين يسجلون أحداث الأمة بأمانة ولا تختلط أهواؤهم الشخصية بآرائهم الصادقة.

وللأسف أن هيكل عندما فشل فى السيطرة على الرئيس السادات مثلما كان فى عهد الرئيس عبدالناصر سافر إلى أوروبا ليشهر بالسادات ويقلل من قيمة حرب أكتوبر كل هذه التصرفات الرخيصة من هيكل تدل على طبيعة شخصيته التى تتسم بالنرجسية، وحب الذات وبالتالى بدأ يختلق سيناريوهات وهمية ويهاجم من خلالها السادات.

ولكن الرئيس السادات زعيم وقائد ورجل لن يتكرر مرة أخرى ولا ننسى أن الأستاذ هيكل كان له ضحايا كثيرون ليس فى عالم السياسة فقط وإنما فى عالم الصحافة أيضاً، وهل ينسى الوسط الصحفى ما قام به هيكل تجاه الكاتب الكبير الشريف مصطفى أمين عندما ساعد فى تلفيق تهمة التخابر لدولة أجنبية له، وللأسف مصطفى أمين، قال هذا الكلام وكتبه فى الصحف ولكن لم يجد من يساعده فى كشف زيف وأكاذيب هيكل فهناك فرق كبير بين السادات وهيكل.

■■■

obeikandl.com